صفا قال الشيخ عثمان بن عاشور رضي الله عنه خرجت من بغداد
اربد الموصل انا اسير واذا بالدنيا قد عرضت علي بعزها وجاهها ورفعتها
ومراكبها وملابسها وبزينتها ومشتهياتها فاعرضت عنها فعرضت الجنة
بحورها وقصورها وانهارها وثمارها فلم اشتغل بها فقيل لي يا عثمان لو
وقفت مع الاولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها
نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك وقال الشيخ عبد الرحمن المغربي وكان
مقيم بشرق الاسكندرية حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت
على الرجوع الى الاسكندرية فاذا علي يقال لي انك العام القابل عندنا فقلت
في نفسي اذا كنت العام القابل ها هنا فلا اعود الى الاسكندرية فخطر
لي الذهاب الى اليمن فاتيت الى عدن فانا يوم على ساحلها واذا بالتجار قد
اخرجوا بضايعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا برجل على ساحلها واذا بالتجار
قد اخرجوا بضايعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا برجل قد فرش سجادته
على البحر ومشى على الما فقلت في نفسي لم اصلح للدنيا ولا للاخرة فاذا علي
يقال من لا يصلح لا للدنيا ولا للاخرة يصلح لنا وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله
عنه الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه واجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى
الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة
والبصيرة الفايقة فهم في عموم اوقاتهم وساير احوالهم لا يدبرون ولا يختارون
ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا يبطشون ولا يمشون ولا
يتحركون ولا ينطقون الا بالله ولله من حيث يعلمون فهم بهم العلم على
حقيقة الامر فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون فيما هو اعلى
ولا فيما هو ادنى واما ادنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع
الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو
محجوب بدنياه او مصروف بدعوى وميراثه التعزز بالخلقه والاستكبار
على مثله والدالة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله
من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن
لم يزدد بعمله وعلمه احتقارا لنفسه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان
من قطع

من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين
بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قال انظر نهك
الله سبيل اوليائه ومن عليك بمتابعة احبابه هذا هو الورع الذي ذكره الشيخ رضي الله
عنه هل كان يصل فهمك الى مثل هذا النوع من الورع الا نور قوله قد انتهى بهم الورع
الى الاخذ عن الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة
الفايقة فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المتنطعين الذين ينشا عن سوء
الظن وغلبة الوهم انتهى وانما اوردنا هذه المعاني ها هنا تتميما للفايدة المتعلقة
بكلام صاحب كتاب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وسياتي مزيد بيان فيها
في موضع انسب من هذا عند قوله لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلايق الى اخره
فانظر فيه ما فاد كل شي مثل الوهم امر عدمي وهو ضد الحقيقة الوجودية والنفس الناقصة
انقيادها الى الامور الوهمية الباطلة اشد من انقيادها الى الحقايق الثابتة لوجود
المناسبة بينهما والطمع في الناس انقياد الى الاوهام الباطلة لان الطمع تصديق
الظن الكاذب والطمع فيهم طمع في غير مطمع وارباب الحقايق بمعزل عن هذا فلا
تتعلق همتهم الا بالله ولا يتوكلون الا على الله ولا يثقون الا به قد سقط اعتبار الوهم
والخيالات التي هي متعلقة بالاغيار عن قلوبهم فزال عنهم الطمع واتصفوا بصفات
القناعة والورع فكانت لهم الحياة الطيبة والعيشة الراضية والقناعة مقام
عظيم من مقامات اليقين وهي من بدايات احوال الراضين قال بعض العارفين
لا يكون العبد قانعا حتى لو جا الى باب منزله جميع ما يرغب فيه اهل الدنيا
من الاتساع والنعمة فعرض عليه لم ينظر الى ذلك ولم يفتح له بابه قناعة منه بحاله
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة
قال هي القناعة انت حر مما انت عنه ايس وعبد لما انت له طامع الطمع
في الشي دليل على الحب له وفرط الاحتياج الى نيله وذلك عبودية له كما ان الياس
من الشي دليل على فراغ القلب منه وغناه عنه وذلك حرية منه فالطامع عبد
والايس حر ولهذا قيل العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع وقيل لولا الاطماع العاذلة
لما استعبد الاحرار بكل شي لا خطر له وقيل ان العقاب يطير في هوا عزه بحيث
لا يرتقي طرف الصياد ولا تسموا همته الى الوصول اليه فيرى قطعة لحم معلقة
على شبكة فينزله الطمع من مطاره فيتعلق بالشبكة جناحه فيصيره صيدا لصبيه

Copyright © King Saud University